مثله يجوز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجوّز ان يدلّس على عباده ويخدعهم والثاني
ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا
ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله تع ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني
زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من
الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله
ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما
كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على
واحد وجه صحيح قلت وجهه ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة
والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة
قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ويخادعون الله بيان
ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون
فان قلت عم كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعونهم عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن
المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم
والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على
الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت فلو اظهر عليهم حتى لا يسلكوا الى هذه الاغراض
بخداعهم عنها قلت لم يظهر عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء
ابليس وذريته ومتاركتهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب
فيه ما علمه تع من المصلحة فان قلت ما المراد بقوله وما يخادعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادع الا انفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما يقول فلان
يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة
اي وهم في ذلك يخدعون انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك
تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجي به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون
ويخدعون من خدّع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخادعون على لفظ

15

ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس
لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم
وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى ومن الماء كل شيء حي وحقيقته نفس الرجل بمعنى عين
اصيب نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان
وداعيان لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما
عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما
نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم
الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم والشعور علم
الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم
لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة
ان يراد الالم كما تقول في جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد
والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير
ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض ذلك والمراد به
ههنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر ومن الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم
كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله في قوله
تعالى قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم
حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله اعف عنه
يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه
بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به ان ريح الاسلام
تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عند انزال الله
على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعف جبنا
وخورا حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما

في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)